كنيسة مارمرقس القبطية
الأرثوذكسية - بمصر
الجديدة

المنطق فى حوارات المسيح

أبونا/ داود لمعى

مقدمة

تنهمر الأسئلة كسيل جارف.. عبر ألفي سنة من الإيمان المسيحى. بعضها على سبيل الإستفسار وكثير منها على سبيل التشكيك أو الإستنكار.

واليوم.. كثرت أسئلة المتشككين الذين يصطادون الكلمات والألفاظ من الإنجيل.. ويفصلونها عن معناها أو حقيقة مغزاها ويجعلونها منار الشك والتضليل.

هذا الكتاب ليس محاولة لتغطية آلاف من الأسئلة التشكيكية، وإنما هو محاولة لتحليل بعض اجابات السيد المسيح ـ له المجد ـ على مثيل هذه الأسئلة أثناء رحلة حياته على الأرض.

والغرض من الكتاب أن نتعلم فن الإجابة.. بحكمة.. **"لَكِنَّنَا نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَامِلِينَ وَلَكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الدَّهْرِ وَلاَ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ الَّذِينَ يُبْطَلُونَ"** (١كو ٢ : ٦).. فيكون لنا السيد المسيح معلماً ومرشداً فى فحص كل سؤال قبل إجابته.. ثم تحديد اتجاه

الإجابة وجوهر الموضوع والخروج من المنطق المغلوط إلى المنطق السليم لفهم الأمور.

لعل هذه الدارسة تكون سبباً فى نمو مهارة كثير من خدام الكلمة.. بل كل المسيحيين.. فى الدفاع عن إيمانهم **"مُسْتَعِدِّينَ دَائِماً لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ"** (١بط ٣ : ١٥).

الرب يحفظ لنا وعلينا حياة أبينا المكرم قداسة البابا تواضروس الثانى.

صلوا من أجلى..

أبونا/ داود طعى

لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟

"ثُمَّ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ أَيْضاً بَعْدَ أَيَّامٍ فَسُمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ. وَلِلْوَقْتِ اجْتَمَعَ كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ وَلاَ مَا حَوْلَ الْبَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ. وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجاً يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟». فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟. أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟. وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لاِبْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ

يَغْفِرَ الْخَطَايَا». قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ»." (مر ٢ : ١ - ١١).

✍ بما أن يسوع الناصرى قال للمفلوج "يَا بُنَيَّ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ" (مر٢ : ٥)

✍ إذاً.. هو يجدف.. إذاً يستحق الموت!!!

كان الكاهن اليهودى بحسب الشريعة اليهودية يُكفّر عن خطية التائب ويحق له أن يُعلمه أن خطاياه قد غُفرت.

"وَجَمِيعَ شَحْمِهِ يَنْزِعُهُ كَمَا يُنْزَعُ شَحْمُ الضَّأْنِ عَنْ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ وَيُوقِدُهُ الْكَاهِنُ عَلَى الْمَذْبَحِ عَلَى وَقَائِدِ الرَّبِّ. وَيُكَفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ مِنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ فَيُصْفَحُ عَنْه" (لا ٤ : ٣٥)

وهكذا فإن سلطان الغفران أعطى لكهنة العهد القديم حسب الشريعة.. كما أعطى لرسل وكهنة العهد الجديد **"مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ"** (يو ٢٠ : ٢٣).

إذاً: هو يجدف..؟!!

إستنتاجاً.. غير دقيق.. لأنه لعله يأخذ صفة كهنوتية.. بل وهناك إحتمالاً آخر ـ الأبعد عن ذهنهم ـ وهو الحقيقة المُعلنة أنه هو هو الله المتجسد.. فليس مجدفاً على الله.. بل هو الله متجسداً.

ومع هذا.. أجاب المسيح ـ له المجد ـ **"فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟. أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟. وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» ـ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ:«لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ»"** (مر ٢ : ٨ ـ ١١).

لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم؟!!

السؤال منطقى.. لماذا؟.. قفز تفكير هؤلاء إلى اتهام المسيح بالتجديف؟

١ـ لأنهم لا يحبون المسيح.. لأنه مختلف عنهم فى التعليم، ويجدونه منافساً لهم.. وأغلبهم من الكتبة المتكبرين الذين يقدسون الحرف.

٢- لأنهم اعتادوا أن يتهموا كل مَن يخالفهم المنهج تهماً مرعبة مثل التجديف.. كى لا يتجاسر أحد ويعلّم بما لا يعلمون.
٣- لأنهم لا يفهمون فكر الله ومحبته للخطاة.. وشوقه للغفران.. كما أنهم لا يفهمون حقيقة التجسد.
٤- لأن الغفران ارتبط فى ذهنهم الحرفى بمجموعة ممارسات وفرائض حرفية كانت رمزاً لذبيحة المسيح الكفارية.. وهم لا يريدون أن يقبلوا هذه الإشارات الرمزية بسبب قساوة قلوبهم.

إذاً.. السؤال المنطقى - رداً على تهكمهم - لماذا تفكرون؟

تطبيق:

مع كل تهكّم أو تشكيك أو سخرية الأفضل أن تسأل أولاً.. **"لماذا؟!!"**

لأن إجابة هذا السؤال تعطى استيضاحاً لحقيقة هامة مختفية وهى الدوافع التى تختفى وراء الرفض أو التشكيك.

مثلاً:

كل مَن يتهكَّم على صورة الله ـ المحب البشر ـ ويرفضها تماماً.. ويسخر من أبوة الله.. متحججاً بحجج واهية.. ألا تسأل أولاً.. **"لماذا؟!!"**

لعلك تجد فى ماضيه خبرة سيئة على صورة مشوهة لأبوه.. قاسية مدمرة.. جعلته يكره هذه الصورة ويقاومها.. بينما فى المعتاد لا يكره أحد أن يكون له أباً محباً مسئولاً عنه.

أيما أيسر؟!!

هذا هو السؤال الثانى الذى طرحه الرب يسوع ـ له المجد ـ وهنا فن الإجابة عن السؤال بسؤال.

لم يتعجل المسيح بالإجابة قائلاً **"أنا هو** الله المتجسد ويحق لى أن أقول مغفورة لك خطاياك".. ولكن لئلا يظن البعض أن المسيح يتكلم فى غيبيات لأنه لا يستطيع أحد أن يرى الغفران بشكل ملموس أو منظور. ولهذا سأل المسيح سؤاله المنطقى: **"أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟."** (مر ٢ : ٩).

لماذا هذا السؤال؟

لأن المسيح أراد قبل أن يُعلن سلطانه على الغفران أن يشرح أنه لم يقل هذا استسهالاً.. إذ ليس أحد يرى الغفران بالعين.

وأراد بسؤاله أن يُعلن أنه يعرف جيداً أن الجميع كانوا ينتظرون منه أن يقول للمفلوج "قم واحمل سريرك وامش".. ولكنه أراد أن يشرح أن هناك قوتان أو عطيتان.. عطية الشفاء و عطية الغفران.

- عطية الشفاء.. منظورة ولكنها لا تكلف المسيح إلا أمراً ... كلمة.
- عطية الغفران.. غير منظورة ولكنها تكلف المسيح **فداءً** ... حياة.

ربما يجيب البعض على سؤال المسيح "أيما أيسر؟ ... مغفورة لك خطاياك".. ولكن مَن يفكر ملياً سيقول بالعكس.. الشفاء أسهل.. وهكذا أكمل المسيح حديثه **"لَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لِابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ»."** (مر ٢ : ١٠ - ١١).

أراد المسيح أن يثبت الغفران غير المنظور بالشفاء المنظور لئلا يظن البعض أنه يتكلم كلاماً فى الهواء.. بشفائه للمفلوج أثبت أن ما قاله عن الغفران هو حقيقى أيضاً.

إذاً.. استدل المسيح بمعجزة منظورة عن أعظم معجزة غير منظورة وهى شفاء البشرية من الخطية.

وهكذا أعلن السيد المسيح أنه كإله متجسد.. لم يأتى ليشفى أمراضنا الجسدية فقط.. وإنما جاء ليشفى من موت الخطية بغفران حقيقى.

هنا نرى فى إجابة المسيح عدة نقاط هامة:

- لم يكتفى المسيح ـ له المجد ـ بالدفاع عن نفسه تجاه تهمة التجديف.. وإنما أعلن أسراراً وشرح مشيئته.
- لم ينزعج السيد المسيح من دعوى التجديف ولم يضطرب بل واجه الموقف بهدوء وحكمة وتحليل ومنطق.

- أعلن السيد المسيح ما وراء السؤال (للكتبة).. من خبث ودهاء كما أعلن فى إجابته أنه يعرف خفايا القلوب.

- استخدم السيد المسيح أسلوب السؤال المضاد لتحليل الموقف قبل الوصول إلى الإجابة.. وهنا استخدم سؤالين: "لماذا تفكرون؟" و "أيما أيسر؟".

- قاد المسيح ـ له المجد ـ الجموع إلى استنتاج ما يريد أن يُعلنه عن لاهوته.. عطية الغفران.. عطية الشفاء.

ولهذا قيل **"بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ!»"** (مر ٢ : ١٢).

مواقف مشابهة قد تقابلنا..

حين يصرّح أحدهم قائلاً.. بما أن الله صانع الخيرات.. كان لابد ألا يكون هناك ألم فى الحياة.. وبما أن الألم فى الحياة حقيقة واقعة.. إذاً.. إما الله غير موجود أو أنه صانع شرور؟!!

قد تجيب على هذا السؤال بطرق مختلفة.. مثلاً..

بالسؤال المضاد..

- هل الألم هو شر دائم؟!
- ألا يمكن أن يكون الألم خيراً؟!

أو سؤال آخر..

- الألم حقيقة واقعة لكن هل الله هو المتسبب المباشر فى الألم؟!
- أليس الألم أحياناً نتاج تصرفات وقرارات البشر؟!

أو سؤال ثالث..

- هل انتهت القصة فقط بأن الله سمح لإنسان أن يتألم بالرغم من أنه صانع الخيرات؟!
- أليس هناك احتمال أن تكون هناك حياة أخرى تنتظره خالية من الألم وكافية لتعويضه مضاعفاً عن كل الآلام التى اجتازها؟!

لماذا تلاميذك لا يصومون؟

"وَكَانَ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ يَصُومُونَ فَجَاءُوا وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَلاَ يَصُومُونَ؟». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا. وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. لَيْسَ أَحَدٌ يَخِيطُ رُقْعَةً مِنْ قِطْعَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ وَإِلاَّ فَالْمِلْءُ الْجَدِيدُ يَأْخُذُ مِنَ الْعَتِيقِ فَيَصِيرُ الْخَرْقُ أَرْدَأَ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ فَالْخَمْرُ تَنْصَبُّ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ»."

(مر ٢ : ١٨ - ٢٢)

بما أن.. تلاميذ يوحنا يصومون

تلاميذ الفريسيين يصومون

إذاً.. لابد أن تلاميذ المسيح يصومون؟!

هل هذا منطق سليم؟!

هل مثلاً.. بما أن كل الناس تأكل الآن (ساعة الغداء).. إذاً لابد لك أن تأكل؟!.. ليس بالضرورة.

هناك تطبيقات كثيرة على هذا النوع من الأسئلة المغلوطة.. كأن يُقال "بما أن الشمس تشرق كل يوم صباحاً.. إذاً لابد أن تشرق غداً".. فى الحقيقة قد يكون الغد فيه غيوم.. وتتأخر الشمس فى الظهور.

أو يُقال "بما أن الله يصنع الخير دائماً.. إذاً لابد أنه لا يوجد شر".. فى الحقيقة الله يصنع الخير دائماً.. لكن قد يصنع الإنسان الشر.. وليس بالضرورة أن يمنع الله الإنسان أو الشيطان عن الشر.

- بما أن المسيح يأكل ويشرب.. إذاً هو إنسان فقط.. ولكن المسيح يأكل ويشرب لأنه إنسان ولكنه ليس فقط إنسان.. لأنه أيضاً الإله الحقيقى.. وله سلطان على كل شئ.

- بما أن المسيح ينام ويتألم.. إذاً لا يمكن أن يكون إله.. ولكن المسيح ينام ويتألم بحكم ناسوته (إنسانيته) ولكن هذا لا يمنع استمرار لاهوته فيه.. ومن جهة لاهوته لا يحتاج للنوم ولا يشعر بالألم.. وبحكم بشريته ينام ويتألم.

لم يضطرب السيد المسيح من هذا السؤال الذى يبدو استنكارياً ومنطقياً.. لأنه ليس بالضرورة أن يصنع المسيح مثل يوحنا والفريسيين إلا إذا كان تابعاً لهم.. أمَّا إذا كان إلههم فمن حقه أن يبدأ نظاماً جديداً وفكراً جديداً.

وانتقل السيد المسيح إلى جوهر الموضوع.. لماذا الصوم؟ وسأل سؤالاً استفسارياً ليبدأ به اجابته ويوضح فكره الجديد **"هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا"** (مر ٢ : ١٩). أنتم تقولون تلاميذ يوحنا.. تلاميذ الفريسيين كمرجع.. وأنا أخذكم إلى مرجع آخر فى العلاقات الإنسانية.. العرس.. هل هناك صوم أثناء الإحتفال بوجود العريس؟.. ألا تسألون لماذا لا يصوم أصحاب العرس فى أثناء الإحتفال بالعريس؟!!

الإجابة المنطقية الطبيعية أجابها المسيح بنفسه "لا يستطيعوا أن يصوموا".. وكأن المسيح وضع (موديلاً) جديداً للصوم.. ليس يوحنا ولا الفريسيين ولكن نظام الإحتفال بالعريس.

الإجابة المنطقية هنا..

أنا لست يوحنا.. ولست الفريسيين.. ولست موسى.. أنا إله الكل.. أنا عريس البشرية.. أنا مشتهى الأمم.. أنا منتظر التاريخ.. أنا فرح الأجيال.. ليس الآن يكون الصوم.. دعوهم يتمتعون بى كعريس.. ومتى صعدت للسماء يصومون شوقاً للصعود معى.. ومتى صعدت للصليب يصومون شوقاً للصليب معى.. ومتى ارتفعت عن الأرضيات يصومون شوقاً للإرتفاع مثلى.

سؤال اليهود يأخذ المسيح فى اتجاه محدد.. هل أنت ستتبع نظام العبادة المعتاد لكل المتدينين؟.

أما المسيح فلم يسير فى هذا الإتجاه بل قادهم إلى اتجاه آخر مختلف..

من بداية بعيدة عن أذهانهم هى:

- "من أنا؟".. المسيح.. العريس.. الإله المتجسد.
- "لماذا جئت؟".. من أجل خلاص البشرية.. العروس.
- "ما هى النتيجة".. علاقة حب سماوى بين العريس والعروس.
- "ما تعبير هذا الحب".. صوماً جديداً روحانياً.

وهنا أعطى المسيح مثلاً لتقريب الحقيقة الغائبة.. مثل الرقعة الجديدة والثوب القديم.. أو الخمر الجديد والزقاق العتيق.

الرقعة الجديدة.. الخمر الجديد.. هى الصوم فى معناه المسيحى.. الحب الذى يربط العروس (الكنيسة) بعريسها.

أما **الثوب القديم والزقاق العتيق..** فهى البشرية قبل الفداء.. قبل أن تعرف عريسها.. ولن تحتمل هذا الصوم الروحانى إلا بعد أن تصير خليقة جديدة روحانية **"يَجْعَلُونَ خَمْراً جَدِيدَةً فِي زِقاقٍ جَدِيدَةٍ"** (مر ٢ : ٢٢).

لماذا يفعلون فى السبت ما لا يحل؟

"لِمَاذَا يَفْعَلُونَ فِي السَّبْتِ مَا لاَ يَحِلُّ؟. فَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ احْتَاجَ وَجَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ. كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللَّهِ فِي أَيَّامِ أَبِيَاثَارَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ وَأَعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَيْضاً؟». ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ. إِذاً ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً»" (مر ٢ : ٢٤ - ٢٨).

لماذا يفعلون فى السبت ما لا يحل؟!...

سؤال استنكارى تهكمى.. وكأنه يثبت على المسيح وتلاميذه جريمة لا تغتفر.

هناك مواقف وحوارات كثيرة للسيد المسيح حول موضوع كسر وصية السبت.. ولكن هنا فى هذا الموقف لم يناقش السيد المسيح ما يحل وما لا يحل؟.. وإلا سيدخل فى تفاصيل حرفية بعيدة عن جوهر

الموضوع.. تفاصيل ما قالته الشريعة.. وما أضافه معلمو اليهود عبر السنين فيما سُميَ بتقليد الناس.

إنما ناقش السيد المسيح ما هو أعمق وأهم.. جوهر السبت؟.. ما هو معنى السبت؟.. لماذا وضِعت وصية السبت؟

بل خرج السيد المسيح بالموضوع عن حدود السبت إلى ما هو أهم وأكبر.. وهو أحكام العهد القديم وشرائعه كلها.. وأعطى مثلاً (مر ٢ : ٢٥ ـ ٢٨).

وبهذا المثل خرج السيد المسيح أولاً عن حساسية موضوع السبت، ووضع مثلاً موثقاً مقبولاً من الجميع أن داود لم يعتبر خاطئاً بأكله خبز التقدمة (١صم ٢١ : ١ ـ ٦).. وأصبح السؤال المنطقى الآن..

مَن الأهم؟.. السبت أم الإنسان؟

ولكنه كعادته رد السؤال بسؤال!

والمفهوم الحرفى بالمفهوم الروحى!

هل الإنسان خُلق ليحفظ السبت أم أن السبت وُجد ليحفظ الإنسان؟!! والإجابة مباشرة سهلة ومنطقية **"السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ"** (مر ٢ : ٢٧).

وأضاف السيد المسيح تلميحاً آخر أكثر أهمية.. أن الذى وضع شريعة السبت قديماً هو الآن يحررها من الحرف.. لأنه هو رب الشريعة.. هو رب السبت.

أى أن المسيح لا يخضع للسبت إنما شريعة السبت تخضع للمسيح واضعها **"إِذاً ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً"** (مر ٢ : ٢٨).

جميع التساؤلات التى يغلب عليها الطابع الحرفى الضيق لابد من مناقشة جوهر الموضوع وأصله.. وحرية السيد المسيح رب الكل فى أن يكمل المعنى حسب مشيئته وفكره.

ويكتمل موضوع السبت بحوار آخر...

"ثُمَّ دَخَلَ أَيْضاً إِلَى الْمَجْمَعِ وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: «قُمْ فِي الْوَسَطِ!». ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟». فَسَكَتُوا. فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِيناً عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى" (مر ٣ : ١ - ٥).

قُم فى الوسط..

هى دعوة جريئة لا لتغطية أى مشكلة عقلانية.. بل لمواجهتها جهراً.

واختلف سؤال السيد المسيح عن سؤالهم الإستطلاعى.. هل يشفين فى السبت؟!.. فسأل المسيح فى المقابل (مر ٣ : ٤).. هل يحل.. فعل الخير؟!.. أم فعل الشر؟!.. وكأن المسيح أعلن أنه لابد أن يكون هناك عملاً ما فى أى يوم.. إما عملاً للخير أم للشر.. والسكوت عن الخير هو شر فى ذاته.. فسكتوا!!

لماذا سكتوا؟!!

لأن النص يقول **"فَسَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ لا تَعْمَل فِيهِ عَمَلاً"** (تث ٥ : ١٤).. ولكن التطبيق يقول لابد أن تعمل عملاً ما.. أما للخير أو للشر **"اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ."** (خر ٢٠ : ٨ - ١٠).

عقلهم البديهى المنطقى يقول.. عمل الخير لن يغضب الله.. هل لن يأكلون ولن يشربون!.. لن يتنفسون!

المسيح ـ له المجد ـ جعلهم فقط يفكرون بحرية وبمنطق إنسانى طبيعى، ولكنهم عجزوا عن التفكير. وإن فكروا عجزوا عن الإعلان عمَّا فى قلوبهم **"فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِيناً عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ"** (مر ٣ : ٥).

إذاً.. نلاحظ فى قضية السبت هناك ردود منطقية هامة:

١- استخدم السيد المسيح قصة داود وأكل خبز التقدمة كدليل على عدم التشبث بالحرف.

٢- تساءل عن علاقة الإنسان بالسبت؟ ومَن الأهم؟.. الإنسان أم السبت؟

٣- أعلن السيد المسيح أنه هو رب السبت.

٤- وضع السيد المسيح الجميع أمام اختيارين لا ثالث لهما.. عمل الخير/ الشر.. فى السبت.. ومع هذا **"فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ."** (مر ٣ : ٦).

إنه مختل!

"وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرِبَاؤُهُ خَرَجُوا لِيُمْسِكُوهُ لأَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّهُ مُخْتَلٌّ!». وَأَمَّا الْكَتَبَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ فَقَالُوا: «إِنَّ مَعَهُ بَعْلَزَبُولَ وَإِنَّهُ بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ»." (مر ٣ : ٢١ - ٢٢).

- **إنه مختل**
- **إن معه بعلزبول (رئيس شياطين)**

كيف يحكم الناس على شخص؟

عادة بإلتزامه بالمعتاد أو خروجه عن المعتاد.. فالسيد المسيح فى عيون أقربائه مختل؟!! وفى عيون المتدينين (الكتبة) هو رئيس شياطين؟!!

لكن.. هل يتصرف تصرفات المجانين!.. هل يؤذى أحداً!.. هل كلامه غير معقول!.. هل الجميع ينفرون منه؟!

وما المنطق وراء الحكم على المسيح.. أنه بعلزبول.. أو معه رئيس شياطين؟.. هل يتقن الشر.. هل يؤذى الناس.. هل ينشر الفساد فى الأرض؟!

ومع هذا.. وبهدوء شديد.. تعامل السيد المسيح بحكمة ومنطق

أولاً... "فَدَعَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ بِأَمْثَالٍ: «كَيْفَ يَقْدِرُ شَيْطَانٌ أَنْ يُخْرِجَ شَيْطَاناً؟. وَإِنِ انْقَسَمَتْ مَمْلَكَةٌ عَلَى ذَاتِهَا لاَ تَقْدِرُ تِلْكَ الْمَمْلَكَةُ أَنْ تَثْبُتَ. وَإِنِ انْقَسَمَ بَيْتٌ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَقْدِرُ ذَلِكَ الْبَيْتُ أَنْ يَثْبُتَ."

(مر ٣ : ٢٣ ـ ٢٥)

اخراج الشياطين .. إما بقوة إلهية

.. أو بقوة شيطانية

- **منطقياً.. الشيطان لن يقاوم شيطان**
- **إذاً.. لابد أنها قوة إلهية**

ثانياً... ما غرض الشيطان؟ إلا أن يسيطر ويتملك البشر "لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ قَوِيٍّ وَيَنْهَبَ أَمْتِعَتَهُ إِنْ لَمْ يَرْبِطِ الْقَوِيَّ أَوَّلاً وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ." (مر ٣ : ٢٧).

اخراج الشيطان لا يتفق مع خطة الشيطان فى السيطرة على البشر.. إنما يتفق مع إرادة الله فى تحرير البشر.

والإنسان أضعف من الشيطان القوى.. إذاً لابد ممَن هو أقوى من الشيطان، فليس إلا المسيح الإله القادر أن يهزمه ويطرده.

ثالثاً... مَن الأقوى؟

- **بديهى الذى ينتصر ويطرد الضعيف.. هو الأقوى.**
- **إذاً.. المسيح هو اللّه القوى المتجسد الذى يطرد الشيطان ويحرر الإنسان.**

تطبيقات:

عندما يسارع أحدهم ويتهمنا بالجنون أو التخلف أو السادية أو التطرف..

لا تنزعج.. إسأل.. لماذا؟

ثم أثبت أن غير المسيحية هو فى الحقيقة الأقرب لهذه التهم جميعها.. أما المسيحية ففيها التعقل والإعتدال وتجديد البشرية ومحبة الإنسان.

كأن يقول إنسان.. المسيحية هى سبب الكوارث كلها!!.. فمن السهل أن تثبت أن المسيحية وراء الحضارة الحديثة وحقوق الإنسان والعمل الخيرى فى العالم.. ومن السهل أيضاً أن تثبت أن الشيوعية أو الفاشية أو الماركسية أو كل ما هو ضد المسيحية يستبيح القتل والإغتصاب وتدمير البشرية من أجل المادة أو المصلحة.

لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ؟

"وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَقَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَادِمِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضاً مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ دَنِسَةٍ أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ لاَمُوا. لأَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ وَكُلَّ الْيَهُودِ إِنْ لَمْ يَغْسِلُوا أَيْدِيَهُمْ بِاعْتِنَاءٍ لاَ يَأْكُلُونَ مُتَمَسِّكِينَ بِتَقْلِيدِ الشُّيُوخِ. وَمِنَ السُّوقِ إِنْ لَمْ يَغْتَسِلُوا لاَ يَأْكُلُونَ. وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تَسَلَّمُوهَا لِلتَّمَسُّكِ بِهَا مِنْ غَسْلِ كُؤُوسٍ وَأَبَارِيقَ وَآنِيَةِ نُحَاسٍ وَأَسِرَّةٍ. ثُمَّ سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ: «لِمَاذَا لاَ يَسْلُكُ تَلاَمِيذُكَ حَسَبَ تَقْلِيدِ الشُّيُوخِ بَلْ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ؟». فَأَجَابَ: «حَسَناً تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَيُّهَا الْمُرَائِينَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً. وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ. لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ وَتَتَمَسَّكُونَ

بِتَقْلِيدِ النَّاسِ: غَسْلَ الأَبَارِيقِ وَالْكُؤُوسِ وَأُمُوراً أُخَرَ كَثِيرَةً مِثْلَ هَذِهِ تَفْعَلُونَ». ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «حَسَناً! رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ. لأَنَّ مُوسَى قَالَ: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَمَنْ يَشْتِمْ أَباً أَوْ أُمّاً فَلْيَمُتْ مَوْتاً. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: إِنْ قَالَ إِنْسَانٌ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ أَيْ هَدِيَّةٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلاَ تَدَعُونَهُ فِي مَا بَعْدُ يَفْعَلُ شَيْئاً لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ. مُبْطِلِينَ كَلاَمَ اللَّهِ بِتَقْلِيدِكُمُ الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ. وَأُمُوراً كَثِيرَةً مِثْلَ هَذِهِ تَفْعَلُونَ»."

(مر ٧ : ١ - ١٣)

لم يكن أكل الخبز بأيد غير مغسولة.. خطية.. أو كسر وصية فى الشريعة اليهودية.. ولكن الإجتهادات والإضافات التى سُميت تقليد الشيوخ هى التى أوصت بهذا.. واعتبُر هذا التقليد شريعة أخرى أكثر إلزاماً وأهمية من نصوص الشريعة فى العهد القديم.

ترك المسيح تلاميذه يأكلون بدون غسيل أيديهم.. وهكذا فتح مجالاً للحوار والجدل حول هذه الوصية.. بل حول كل تقليد الشيوخ.

تحليل إجابة السيد المسيح:

١- جوهر الموضوع:

لم ينشغل السيد المسيح بقضية الغسيل ذاتها.. بل كعادته انتقل بالموضوع إلى المستوى الأعلى والأهم.. وهو تقليد الشيوخ.. أو وصايا الناس.. فى مقارنة مع وصايا الله.

٢- عتاب من الأنبياء:

الإستدلال بالنبوة يعطى حُجة وقوة **"حَسَناً تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً. وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ."** (مر ٧ : ٦ - ٧).

ثم شرح النبوة وانطباقها تماماً على ما يحدث **"لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ: غَسْلَ الأَبَارِيقِ وَالْكُؤُوسِ وَأُمُوراً أُخَرَ كَثِيرَةً مِثْلَ هَذِهِ تَفْعَلُونَ"** (مر ٧ : ٨).

٣- تشخيص الوضع الحالى بإسمه الحقيقى:

"حَسَناً! رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ" (مر ٧ : ٩).. إذاً هى ليست مشكلة غسيل الأيدى.. بل هى رفض وصايا الله من أجل الإلتزام بوصايا الناس.. وهنا بدأ السيد المسيح يعطى أمثلة أخرى لهذه التجاوزات.

٤- أمثلة أخرى:

"لأَنَّ مُوسَى قَالَ: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَمَنْ يَشْتِمُ أَباً أَوْ أُمّاً فَلْيَمُتْ مَوْتاً. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ: إِنْ قَالَ إِنْسَانٌ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ أَيْ هَدِيَّةٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلاَ تَدَعُونَهُ فِي مَا بَعْدُ يَفْعَلُ شَيْئاً لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ." (مر ٧ : ١٠ - ١٢).. بمعنى أن تركيز وصايا الناس على الهدية والقربان لغى وصية الله بالإكرام والرعاية والإحترام.. ولم يتحرك لليهود ساكناً دفاعاً عن وصايا الله.. وإنما يثورون بشدة من أجل وصايا الناس.

٥- إعلان المتهم الحقيقى والتهمة الحقيقية:

"مُبْطِلِينَ كَلاَمَ اللهِ بِتَقْلِيدِكُمُ الَّذِي سَلَّمْتُمُوهُ. وَأُمُوراً كَثِيرَةً مِثْلَ هَذِهِ تَفْعَلُونَ" (مر ٧ : ١٣).. ليس التلاميذ هم

المخطئون بل اليهود.. وليس غسيل الأيدى هو التهمة الحقيقية.. بل تغيير وتبديل وصايا الله هى التهمة الحقيقية.. فإن لم يكن التسليم الآبائى حسب الشريعة (التقليد) حافظاً للكلمة الإلهية.. فإنما هو وسيلة لتعطيل إرادة الله.

٦- مراجعة المفاهيم الجوهرية (مفهوم النجاسة والطهارة):

"ثُمَّ دَعَا كُلَّ الْجَمْعِ وَقَالَ لَهُمُ: «اسْمَعُوا مِنِّي كُلُّكُمْ وَافْهَمُوا. لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ لَكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ" (مر ٧ : ١٤ ـ ١٦). الأكل بأيدى مغسولة أو غير مغسولة لا يقدر أن ينجس الإنسان لأنه يهضم سريعاً ويخرج إلى خارج **"أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ. لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ وَذَلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ"** (مر ٧ : ١٨ ـ ١٩).. أما الذى يخرج من الإنسان (من قلبه وفكره ولسانه) هو الذى ينجسه **"إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذَلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً فِسْقٌ قَتْلٌ. سِرْقَةٌ طَمَعٌ**

خُبْثٌ مَكْرٌ عَهَارَةٌ عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ تَجْدِيفٌ كِبْرِيَاءُ جَهْلٌ. جَمِيعُ هَذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ" (مر ٧ : ٢٠ - ٢٣).

إذاً هناك تسلسل منطقى فى التعامل مع هذه القضية..

١- الرجوع إلى جوهر الموضوع حسب الشريعة.

٢- الإستشهاد بالنبوات للرد على الإتهام.

٣- تشخيص المشكلة (وصايا الناس).. بالمسمى الحقيقى لها.

٤- ذكر أمثلة أخرى لهذه التجاوزات.

٥- إعلان المتهم الحقيقى (الشيوخ) والتهمة الحقيقية (إبطال وصية الله).

٦- مراجعة لمفاهيم الطهارة والنجاسة.

هل يحل للرجل أن يطلق امرأته؟

"فَتَقَدَّمَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَسَأَلُوهُ: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ؟» لِيُجَرِّبُوهُ. فَأَجَابَ: «بِمَاذَا أَوْصَاكُمْ مُوسَى؟». فَقَالُوا: «مُوسَى أَذِنَ أَنْ يُكْتَبَ كِتَابُ طَلاَقٍ فَتُطَلَّقَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ لَكُمْ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ. وَلَكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللَّهُ. مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ. وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ». ثُمَّ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ أَيْضاً عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا. وَإِنْ طَلَّقَتِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي»." (مر ١٠ : ٢ - ١٢)

السؤال.. "هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ؟.. وما وراء السؤال.. هو محاولة إثبات التعارض بين كلام المسيح وكلام الشريعة.

من الواضح أن السيد المسيح فى كل تعاليمه كرَّم الزواج ورفض الطلاق.. بينما سمح العهد القديم بالطلاق.. ولهذا كانوا يجربوه لعله يقول ما هو ضد الشريعة (موسى) فيُمسك عليه الخطأ.

الإجابة تبدأ بسؤال "بِمَاذَا أَوْصَاكُمْ مُوسَى؟" (مر ١٠ : ٣)

لماذا سأل المسيح هذا السؤال؟

لمراجعة النص.. وظروف كتابته.. ومعناه.

فالأفضل دائماً مراجعة أى نص بدقة.. لئلا يكون الحوار بعيداً عن الحقيقة التى قصدها الكتاب.. وجاءت الإجابة دقيقة لتبدأ بكلمة.. **"أذن** (أعطى إذناً)**"** (مر ١٠ : ٤).

ظروف الوصية فى العهد القديم:

"مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ لَكُمْ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ" (مر ١٠ : ٥).. هذه الحقيقة تسرى على وصايا كثيرة.. لأن الوصية هى إرادة إلهية.. ولكنها تعمل بيد بشرية.

لابد من اعتبار الأثنين.. ماذا يريد الله؟ وماذا يستطيع الإنسان؟ ويمكن تطبيق هذا على وصايا مثل عين بعين وسن بسن.. فالله يريد التسامح وعدم العداوة وعدم الإنتقام للنفس ولكن ليس أقل من الرد بنفس الدرجة.. من أجل قساوة قلب المستمع.

فالبشرية وقت إعلان الشريعة لم تكن لتحتمل مثالية "أحبوا أعدائكم".. أو "لا تغضب باطلاً".. أو "من نظر إلى إمرأة ليشتهيها".. فمن جانب.. إرادة الله تهدف لقداسة الإنسان وكماله.. ولكن من جانب آخر.. الله يدرك ضعف الإنسان وعجزه الشديد قبل الفداء.

نعود مرة أخرى لقضية الطلاق.. وقدسية الزواج.. ودفاع السيد المسيح عن الزواج..

رجع السيد المسيح إلى أصل قضية الخلق ليؤكد أن إرادة الله من البداية واضحة لا تتغير.. أن يكون الزواج بيد الله.. وزوجة واحدة.. **"إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ"** (مت ١٩ : ٦).

وأوضح السيد المسيح أن الطلاق سمح به بسبب قساوة قلب اليهود.. تجنباً لأخطاء أكبر ولكن لا يعبر عن إرادة الله.

أكد السيد المسيح أن مَن يطلق إمرأته ويتزوج بأخرى هى بمثابة خطية زنا، وتأكيداً لهذا المعنى يقول ملاخى النبى **"لأَنَّهُ يَكْرَهُ الطَّلاَقَ قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ"** (ملا ٢ : ١٦).

أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟

"وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ رَكَضَ وَاحِدٌ وَجَثَا لَهُ وَسَأَلَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. لاَ تَسْلِبْ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ». فَأَجَابَ: «يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ كُلَّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي». فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ وَقَالَ لَهُ: «يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ. اذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ». فَاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِيناً لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. فَنَظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!»." (مر ١٠ : ١٧ - ٢٣)

هذا السؤال من قبل الشاب الغنى يفترض عدة افتراضات:

١ـ هناك حياة أبدية.
٢ـ للإنسان دور (عمل) للوصول للحياة الأبدية.
٣ـ المسيح هو المعلم الصالح.
٤ـ المسيح يعرف الإجابة الحقيقية.

ولأن هذه الإفتراضات كلها سليمة.. ولكن ينقصها جوهر الإجابة.. وهى الإيمان بالمسيح كإله متجسد وليس كمعلم صالح فقط. رد السيد المسيح على السؤال بسؤال.. **"لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ"** (مر ١٠ : ١٨).

- **بما أن.. الصلاح للّه وحده.. و المسيح صالح (على الأقل فى نظر هذا الشاب).**
- **إذاً.. هذا السؤال يعنى بالضرورة استنتاجاً واحداً أن المسيح هو اللّه الصالح (الوحيد).. وليس كما يدَّعى**

أتباع أريوس (شهود يهوه) أن المسيح ينكر عن نفسه أنه صالح أو ينكر عن نفسه أنه اللّه.

ويؤكد المسيح هذه الحقيقة فى أحاديث كثيرة مثل:

- "وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" (يو ٣ : ١٣).
- " أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو ١٠ : ٣٠).
- "وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ" (يو ١٧ : ١٠).
- "مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟" (يو ٨ : ٤٦).

ثم يستمر الحوار دون أن ينتظر المسيح الإجابة على سؤاله.. لأنها منطقية ولكن قد يكون من العسير الإعلان عنها.. أنت هو الله بالحقيقة.

أكمَّل السيد المسيح إجابته للشاب.. "أنت تعرف الوصايا".. وكأنه بهذه الإجابة يكمل إجابة سؤال "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية".. بعد الإيمان بالمسيح كإله.. تحتاج إلى طاعة الوصية كطريق للحياة الأبدية. وذكر السيد المسيح بعض هذه الوصايا **"لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. لاَ تَسْلِبْ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ"** (مر ١٠ : ١٩).. وهنا أكمل الشاب الغنى حديثه بسؤال جديد **"يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي"** (مر ١٠ : ٢٠).. **"فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟"** (مت ١٩ : ٢٠).

وهذا السؤال يفترض أن الإجابة بحفظ هذه الوصايا فى العلاقات الإنسانية ليست كافية وحدها لدخول الحياة الأبدية.. وكأن هذا الشاب النقى أحس بفطرته أنه مازال يحتاج إلى أكثر من هذا.. **"يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ. اذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ"** (مر ١٠ : ٢١).

وأصبحت هذه النقطة الثالثة فى هذا السؤال الخطير نقطة شاملة جامعة كل وصايا العهد الجديد.. وكل مبادئ القداسة والنمو الروحى.. وفتحت الباب

لجهاد لا ينتهى أمام الإنسان للوصول إلى قياس قامة ملء المسيح أو التشبه بالمسيح الكامل.

ولم يترك السيد المسيح هذا الموضوع ينتهى عن هذا الحد.. لأن بذهاب الشاب الغنى حزيناً تراءى أنه لا خلاص له أو كأنه خرج عن هذا الطريق الذى بدأه.. أو كأنه لا يصلح للحياة الأبدية.. وهنا أضاف السيد المسيح تفسيراً لعراقيل دخول الحياة الأبدية **"مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ. فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ. فَقَالَ يَسُوعُ أَيْضاً: «يَا بَنِيَّ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!. مُرُورُ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!»."** (مر ١٠ : ٢٣ ـ ٢٥).

قالها السيد المسيح بالطريقة التى تستدعى التعجب والتساؤل والحيرة.. لكى ما يكون له فرصة التوضيح والتفسير والتعقيب **"يَا بَنِيَّ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!"** (مر ١٠ : ٢٤).

وكعادة السيد المسيح بسَّط السيد المسيح المفاهيم بالإمثال الدارجة المعتادة **"مُرُورُ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!"** (مر ١٠ : ٢٥).. ويقصد

بها دخول الجمل من باب فى سور أورشليم يسمى ثقب إبرة.. لا يسمح للجمل المحمل بالأمتعة بالدخول إلى بعد إنزال ما عليه من متاع.. ووضعه على الأرض (باركاً) على ركبتيه ودفعه للأمام.. وكلها علامات على ترك محبة المال والإتضاع والجهاد اللازم للدخول من الباب الضيق.. لكنه لم يقطع أمل هذا الشاب فى أنه قد ينجح يوماً فى أن يحب المسيح أكثر من أمواله **"عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللَّهِ"** (مر ١٠ : ٢٧).

إذاً.. تدرَّج هذا الحوار المنطقى فى ثلاث مراحل:

١ـ إعلان لاهوت المسيح (صلاحه المطلق).

٢ـ التركيز على وصايا العهد القديم.

٣ـ الكمال فى الترك وتبعية المسيح.

وأيضاً يعلمنا هذا الحوار..

- أن تناقش السائل من مضمون سؤاله..

"لماذا تدعونى صالحاً؟"

- أو نتفق على تعريف الكلمات المستخدمة

"ما معنى الصلاح المطلق؟".

- وأيضاً نبدأ الإجابة بما يعلمه السائل أو يتوقعه..

"أنت تعرف الوصايا".

- وأيضاً أن نرتقى بالحوار إلى ما لا يعرفه أو يتوقعه السائل

"يعوزك شئ واحد".

نريد أن تفعل لنا كل ما طلبناه

"وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدِي قَائِلَيْنِ: «يَا مُعَلِّمُ نُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ لَنَا كُلَّ مَا طَلَبْنَا». فَسَأَلَهُمَا: «مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ لَكُمَا؟». فَقَالاَ لَهُ: «أَعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ». فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟». فَقَالاَ لَهُ: «نَسْتَطِيعُ». فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «أَمَّا الْكَأْسُ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا فَتَشْرَبَانِهَا وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ»."

(مر ١٠ : ٣٥ ـ ٤٠)

هذه صورة مبسطة لأغلب طلبات البشر فى صلواتهم.. حتى المؤمنين بالمسيح قد تكون طلباتهم بنفس هذا المعنى.. أنهم يريدون ما يرونه مناسباً.. أو أن

الله يحقق لهم طموحاتهم حسبما يرون.. ولكن المسيح يسأل فى المقابل **"أَعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ"** (مر ١٠ : ٣٧).. ولكن هل يدركان حقيقة ما يطلبان **"لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ"** (مر ١٠ : ٣٨).

هنا موقف متكرر يحدث مع كثيرين منا.. هل تعلم حقاً ما تطلب؟!.. قد نطلب راحة فى هذا الزمان وقد تكون الراحة سبباً لخسارة الحياة الأبدية.. قد نطلب كرامة فى هذا الزمان وتكون وبالاً علينا وسبباً لضياع نفوسنا.. قد نطلب نجاحاً اليوم نراه مناسباً وطبيعياً ويكون سبباً فى مشاكل وهموم وأحزان روحية لا طائل لها.. حقاً.. أننا كثيراً لا نعلم ما نطلبه أو ما نصلى لأجله.. هل هو لنا أم علينا!!

وفسَّر السيد المسيح إجابته بقوله **"أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟"** (مر ١٠ : ٣٨).. وحتى هذا القول لم يفهمه التلميذان كما قصده المسيح.. فهو يتكلم عن آلامه وصلبه ودمه الذى سيصطبغ به بعد أيام.. أما هما فكانا يتخيلان ما فى عقليهما من كرامة ومجد أرضى كأنهما

وزيرين فى مملكته القادمة **"فَقَالاَ لَهُ: «نَسْتَطِيعُ»"** (مر ١٠ : ٣٩).

هنا قد يكتفى السيد المسيح بإجابتهما ويحقق لهما ما أراداه وليدفعا ثمن طلبتهما.. ولكن السيد المسيح يحب تلاميذه كما يحب كل البشر.. ويشفق عليهم حتى من أحلامهم وأمنياتهم الساذجة.. لهذا أصر السيد المسيح **"أَمَّا الْكَأْسُ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا فَتَشْرَبَانِهَا وَبَالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ"** (مر ١٠ : ٣٩ - ٤٠).

وهنا أعلن السيد المسيح نبوة عما سيحدث لهذين التلميذين فأنهما سيقاسيان العذاب مثله (استشهد يعقوب بحد السيف فى (أع ١٢ : ٢).. وتألم يوحنا طويلاً ونفى كثيراً).. ولكن السيد المسيح أصر على حقيقة أن الجلوس عن يمينه ويساره ليست إستجابة للأحلام والتمنيات والرغبات والطموحات الأرضية إنما هى حكمة إلهية سرية **"لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ"** (مر ١٠ : ٤٠).

وهذه الكرامة لا تعطى فقط لمَن يشتهيها ولكن لمَن يلتزم بكل متطلباتها وأولها التواضع الجم والمتكأ

الأخير.. ولهذا أكمل السيد المسيح حديثه موضحاً.. **"أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيماً يَكُونُ لَكُمْ خَادِماً. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْداً. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ"** (مر ١٠ : ٤٢ ـ ٤٥).

مرة أخرى.. نتعلم من ربنا يسوع المسيح ـ له المجد ـ المنطق فى الرد على الطبات:

- تحقق من مفهوم الطلب كما قصده السائل.
- اسأل مَن يطلب.. هل يتحمّل تكلفة هذا الطب وتبعياته؟!
- وضح المفاهيم الروحية واللاهوتية التى قد تغيب عن صاحب السؤال.

يا سيد أنظر التينة التى لعنتها قد يبست

"وَفِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوُا التِّينَةَ قَدْ يَبِسَتْ مِنَ الأُصُولِ. فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدِي انْظُرْ التِّينَةُ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبِسَتْ!». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللهِ. لأَنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ. لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ." (مر ١١ : ٢٠ - ٢٥)

يا سيد أنظر.. التينة التى لعنتها قد يبست!!.. هنا يتعجب بطرس من منظر التينة التى يبُست فى عدة ساعات ولكنه لم يتجاهل ولم ينس أنها إستجابة لموقف السيد المسيح فى اليوم السابق **"فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئاً. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ. فَقَالَ يَسُوعُ لَهَا:**

«لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَراً بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ». وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسْمَعُونَ." (مر ١١ : ١٣ - ١٤).

ولم يتوقف السيد المسيح عند تعليق بطرس حول التينة ولكنه أخذه فى اتجاه قضية الإيمان **"إِنَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ"** (مر ١١ : ٢٣).. وهنا قد نتساءل.. وهل ليس للتلاميذ إيمان بالله حتى يقول لهم ليكن لكم إيمان بالله!!

هنا نفهم أن الإيمان ليس مجرد عُملة أو شهادة يقتنيها الإنسان أو لا يقتنيها.. إنما هو حالة مستمرة من الثقة المطلقة بالله.. ولهذا مهما كنا مؤمنين فإننا مازلنا نحتاج للإيمان.

التلاميذ كانوا مؤمنين.. بل صنعوا عجائب بإسم السيد المسيح قبل هذا اليوم.. بل شهد السيد المسيح لبطرس مع اعتراف إيمانه **"أَنْتَ بُطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا"** (مت ١٦ : ١٨).. ومع هذا مازالت الوصية.. ليكن لكم إيمان بالله!!

وكأن السيد المسيح يشرح مفهوماً جديداً للإيمان.. أنه النمو والثبات والإلتصاق بالمسيح كل الوقت مهما كانت الظروف.. لذلك لابد أن نعترف بأننا قليلى الإيمان (مت ٨ : ٢٦).. فنطلبه فى الصلاة ونسعى فى اتجاهه حتى نصير عظيمى الإيمان **"يَا امْرَأَةُ عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ"** (مت ١٥ : ٢٨).. لكى نصل إلى ما ترجاه السيد المسيح لنا.. حبة الخردل **"لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ"** (مت ١٧ : ٢٠).

ولم يكتفى السيد المسيح بهذا التوضيح بل حوله إلى حياة مستمرة وسلوك يومى بل لحظى **"كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ"** (مر ١١ : ٢٤).

إذاً.. بدأ الحوار بتعجب بطرس من التينة التى يبست.. وأنتقل المسيح به إلى موضوع الإيمان القادر على فعل المعجزات.. وختمه بوعد إستجابة كل الطلبات المحمولة على الإيمان.

بأى سلطان تفعل هذا؟

"وَجَاءُوا أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ. وَقَالُوا لَهُ: «بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا وَمَنْ أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى تَفْعَلَ هَذَا؟». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً. أَجِيبُونِي فَأَقُولَ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا: مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ أَجِيبُونِي». فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟. وَإِنْ قُلْنَا مِنَ النَّاسِ». فَخَافُوا الشَّعْبَ. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ عِنْدَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَبِيٌّ. فَأَجَابُوا: «لاَ نَعْلَمُ». فَقَالَ يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا»" (مر ١١ : ٢٧ - ٣٣)

هنا.. حوار جدلى.. من جهة رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ.. قُصِد به محاولة إيقاع السيد المسيح فى مأزق.

السؤال:

ـ بأى سلطان تفعل هذا؟

ـ أو مَن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا؟

كان الكهنة والكتبة والشيوخ يعلمون أن المسيح يُعلن دائماً أن سلطانه من الله.. ومن داخله لأنه هو المسيح ابن الله.

- "فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ" (مر ١ : ٢٢)
- "فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ حَتَّى سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً قَائِلِينَ: «مَا هَذَا؟ مَا هُوَ هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟ لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ!»"(مر١ : ٢٧)

ولكنهم كانوا يريدون إما أن يُعلن هذا.. فيعتبرونه مجدفاً لأنه يقول أنه هو الله الخالق القادر.. أو ينكر ويعترف أن سلطانه من خارجه كأى واحد من الأنبياء الذى يأتمر بأمر الله وليس له فى ذاته قدرة أو سلطان.. وبهذا يستطيعون أن يقاوموه وينكروا أنه المسيّا.

وكان السيد المسيح يعلم تماماً أنهم لن يستفيدوا من اعلانه عن نفسه كصاحب سلطان بقدر ما يفيد مؤامراتهم.. ولأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد.

أجاب السيد المسيح سؤالهم بسؤال ـ حسب عادته ـ **"وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً. أَجِيبُونِي فَأَقُولَ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا"** (مر ١١ : ٢٩).. ووضعهم السيد المسيح فى مأزق **"مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ أَجِيبُونِي"** (مر ١١ : ٣٠).. أذ يعلم ربنا يسوع أنهم لم يعترفوا بيوحنا كنبى وإلا لكانوا قد خضعوا له ولرسائل التوبة التى قالها.. ولكنهم لا يقدرون أمام الجموع العاشقة ليوحنا المعمدان أن يشككوا فى تقواه أو ارساليته من قبل الله.

أجاب السيد المسيح بسؤال ليعلن لهم وللجموع أنهم ليسوا صادقين مع أنفسهم لذلك لن يستفيدوا من إجابته عن السؤال الخاص بسلطانه ولاهوته **"فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟. وَإِنْ قُلْنَا مِنَ النَّاسِ». فَخَافُوا الشَّعْبَ. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ عِنْدَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَبِيٌّ. فَأَجَابُوا: «لاَ نَعْلَمُ». فَقَالَ يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا»"** (مر ١١ : ٣١ ـ ٣٣).

وأجاب المتآمرين.. لا نعلم.. وكانت كذبة صريحة ليتهربوا بها من الموقف الشائك.. أما السيد المسيح الذى لا يكذب فأعلن **"وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا"** (مر ١١ : ٣٣).

وإنما يُفهم ضمنياً من إجابته أنه لا يريد أن يُعلن ألوهيته الآن.. وبالأخص لمَن لا يريدون أن يقبلوا الحقيقة.. وهنا كمثال.. أحياناً يكون الرأى العام والمسلمات المتعارفة دليلاً رادعاً للمتفلسفين والمتشككين فى ثوابت أجمع عليها البشر بالفطرة والمنطق والتاريخ.

أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟

"ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ قَوْماً مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالْهِيرُودُسِيِّينَ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللَّهِ. أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ نُعْطِي أَمْ لاَ نُعْطِي؟». فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ ايتُونِي بِدِينَارٍ لأَنْظُرَهُ». فَأَتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» فَقَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ». فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ." (مر ١٢ : ١٣ - ١٧)

مقدمة الحوار فى هذا النص تطرح علينا قضية هامة.. وهى ضرورة فهم ما وراء السؤال من غرض أو أغراض..

- **هل حقاً الإستفهام.. بمعنى شخص يطلب مزيد من الفهم..**
- **أم السؤال للإستنكار.. أى شخص يرفض ويتهكم على المعنى.**
- **أم السؤال للإيقاع بالشخص.. كما فى هذه الحالة.**

وهنا تظهر مجموعة تساؤلات يُقصد بها أحياناً التمسَك بلفظة أو جملة.. واخراجها من النص الكامل الذى طرحت فيه حتى تأخذ معنى آخر لم يقصده قائله، مثلاً.. حين يسأل شخص هل حقاً تقولون أن المسيح ثالث ثلاثة؟.. فى ظاهر السؤال يبدو بريئاً كأن يستفهم عن مفهوم الوحدانية والثالوث.. لكن الغرض من السؤال هو التكفير حسب فكر ومفهوم المجتمع، لهذا لايجب أن نتعجل الإجابة بسذاجة "نعم هو ثالث ثلاثة".. وإنما تكون الإجابة بشرح مبسط لمفهوم وحدانية الله.. الله وكلمته وروحه.. ثالوث فى واحد.

نعلم أنك صادق ولا تبالى أحد!!!

حين يبدأ السؤال بمديح مستفيض.. عادة يجب أن تشك فى غرض صاحب السؤال.. لأن الإطراء الزائد وأمام الجموع يحبك المؤامرة ويجعل إنزلاق الإنسان فى الخطأ أسهل.. وهذا ما لم يحدث بالطبع مع ربنا يسوع له المجد.

نعطى أم لا نعطى؟

حين يسأل البعض ويضع لك إجابتين فقط تختار من بينهما.. احذر المغالطة!!.. لعل هناك إجابة ثالثة.. وسطية.. أو مرتبطة بظرف معين.. لعلك لا تستطيع أن تقطع بإجابة واحدة فى كل الظروف.. لكن هذا النوع من الأسئلة.. يقصد به شراً.

لأن الإجابة الأولى.. **نعم**.. ينبغى للجميع أن يعطوا الجزية.. تجعل السيد المسيح خائناً لوطنه وشعبه.. منحازاً للرومان.. وهذا ما أراده المتآمرين.

الإجابة الثانية.. **لا**.. لا ينبغى أن تعطوا الجزية تجعل المسيح ـ له المجد ـ صاحب ثورة وفتنة على النظام الرومانى.. ويلزم محاكمته كمقاوم لقيصر.

لماذا تجربوننى؟

المواجهة.. مطلوبة.. لكى يعلم السائل أنك تدرى نواياه وأنك لست ساذجاً.. وأن السؤال ليس أميناً ولا يراد به الإستفهام وإنما الوقيعة.

علم السيد المسيح رياءهم لأنهم يتملقونه لعله يجيب الإجابة التى تروق لهم كفريسيين.. وهى "لا تعطوا الجزية".

بينما يقف الهيروديسيين يشهدون أنه بذلك يكون ضداً لقيصر أيضاً.. أذا رأيت تحالفاً بين من لا يتفقون.. مثل الفريسيين والهيرودسيين.. لابد أن تتوقع المؤامرة.. لأن هاتين الفئتين كانتا فى عداء دائم.. واحدة متطرفة دينياً وتتمسّك بالحرف.. والأخرى تتمسّك بالسياسة فوق الدين وتبحث عن مصالح وكراسى وأنصبة.

إيتونى بدينار !!.. لماذا طلب ديناراً؟

أولاً.. لأن المسيح لم يكن يحمل أموالاً.. فلا ينتظر أحد منه مالاً أو يتقرب إليه أحد من أجل المكسب.. ولكى يظل المال تحت أرجل تلاميذه.. فى المستقبل.

ثانياً.. الدينار.. عملة الجزية.. عملة المال.. وكأنه يريد أن يعود السؤال إلى مراجعة المفاهيم.. مفهوم المال عموماً.. ومفهوم الإنسان.. ومرجعية كل منهما!!

لَمن هذه الصورة والكتابة؟

كان الدينار يُصاغ ويُطبع فى روما.. لأنها تحكم العالم بما فيه من بلاد اليهود.. وبحكم السياسة كان الإقتصاد خاضعاً للإمبراطورية الرومانية ولقوة الدينار.. وكانت تفرض الجزية على كل البلاد المستعمرة بدعوى تأمين هذه البلاد وإدارتها.

فالصورة هى صورة قيصر.. والكتابة هى كتابة قيصر.. وبالتالى المتحكم فى المال عموماً هو قيصر.

وجاءت إجابة المسيح العميقة والبسيطة أيضاً.. أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله.. وكان هناك سؤال خفياً.. أنتم.. يا بنى البشر.. لمَن هذه الصورة؟.. صورتكم كبشر؟!.. ولمَن هذه الكتابة؟!.. على وجوهكم؟!.. إنها صورة الله وكتابته.

كما نصلى فى القداس الإغريغورى "كتبت (رسمت) فىَّ صورة سلطانك".. فكما أن الدينار يعود لقيصر.. لابد أن الإنسان يعود لله لأنه ملك الله.. صورته وكتابته.

أيضاً.. ما لقيصر لقيصر.. تعنى ما يستحقه قيصر لابد أن يأخذه وهى إجابة تحتمل إجتهادات وتفسيرات لكنها لا تلغى بكل حال فكرة الجزية تماماً.

وأيضاً.. ما لله لله.. فيها فصل صريح بين أمور السياسة والإقتصاد من جهة.. والأمور الروحية التعبدية من جهة أخرى.

ولا ننسى.. أن الفريسيين والكتبة والكهنة اليهود كانوا يرون أن الهيكل هو الأحق بالجزية.. وكأنها من حق الله وليس قيصر.. ومن هنا كان الصراع الدائم بين السياسة ورجال الدين اليهودى.. فالإجابة تعنى أن الأمور الزمنية يحكم فيها المتخصصون من أهل هذا الزمان.. والأمور الروحية الإلهية يحكم فيها الله ورجاله.. ولا يجب خلط الأمور وتداخل السلطات والمسئوليات بأى حال.

لمَن منهم تكون زوجة؟

"وَجَاءَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الصَّدُّوقِيِّينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ وَسَأَلُوهُ:. «يَا مُعَلِّمُ كَتَبَ لَنَا مُوسَى: إِنْ مَاتَ لأَحَدٍ أَخٌ وَتَرَكَ امْرَأَةً وَلَمْ يُخَلِّفْ أَوْلاَداً أَنْ يَأْخُذَ أَخُوهُ امْرَأَتَهُ وَيُقِيمَ نَسْلاً لأَخِيهِ. فَكَانَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ. أَخَذَ الأَوَّلُ امْرَأَةً وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ نَسْلاً. فَأَخَذَهَا الثَّانِي وَمَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ هُوَ أَيْضاً نَسْلاً. وَهَكَذَا الثَّالِثُ. فَأَخَذَهَا السَّبْعَةُ وَلَمْ يَتْرُكُوا نَسْلاً. وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضاً. فَفِي الْقِيَامَةِ مَتَى قَامُوا لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِلسَّبْعَةِ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ لِهَذَا تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللَّهِ؟. لأَنَّهُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأَمْوَاتِ إِنَّهُمْ يَقُومُونَ: أَفَمَا قَرَأْتُمْ فِي كِتَابِ مُوسَى فِي أَمْرِ الْعُلَّيْقَةِ كَيْفَ كَلَّمَهُ اللَّهُ قَائِلاً: أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ؟.

لَيْسَ هُوَ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ. فَأَنْتُمْ إِذاً تَضِلُّونَ كَثِيراً»." (مر ١٢ : ١٨ ـ ٢٧)

مرة أخرى.. تتقدم فئة جديدة.. الصدوقيين.. المنشقين عن الفريسيين والذى يتبعهم رؤساء الكهنة آنذاك.. وحسب إيمانهم المتطرف.. ليس هناك قيامة ولا روح ولا ملائكة.. وبهذا الإيمان يختلقون قصة ويضعونها تحت حرف الشريعة ليثبتوا ـ حسب فكرهم ـ أنه إما أن الشريعة خطأ أو أنه ليس هناك قيامة للأموات.

كتب لنا موسى

وهنا الحد الأول للكلام.. وكأنهم يقولون له احترس أن تكسر كلام موسى أو تخالفه فتحسب مستحقاً للرجم.. واليهود بالطبع لا يرون أن المسيح إله موسى وهو المشرّع لشريعة الكمال.. وأن شريعة العهد القديم كانت مرحلة لتنقل اليهود لإستقبال المسيح.. ولكنها لم تكشف كل إرادة الله من نحو الإنسان.. ولهذا أتى المسيح قائلاً **"لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ"** (مت ٥ : ١٧).

لأنها كانت زوجة للسبعة

هنا كانوا يتوقعون إجابات مثل.. ستكون زوجة الأول.. أو ستكون زوجة للأخير.. أو لمَن عاش أطول فترة معها.. أو ستكون زوجة للسبعة.. وبحسب تفكيرهم كل هذه الإجابات ضعيفة يسهل نقضها.. أو يضطر السيد المسيح الإعتراض على شريعة زواج الأخ التى سلمها موسى لشعبه.. وهنا يحسب مجدفاً وكاسراً للناموس.

وكعادة السيد المسيح.. لم يضطرب.. ولم يُجب بإستعجال كما يريدون.. ولم يعط أياً من هذه الإجابات الخاطئة ولكنه..

أولاً.. واجههم

"أَلَيْسَ لِهَذَا تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللهِ؟" (مر ١٢ : ٢٤).. بالرغم أن هؤلاء الصدوقيين يأتون عليه وكأنهم وجدوا ثغرة وليس لها حل.. إلا أن السيد المسيح اعترض أساساً على فهمهم للكتب المقدسة وادراكهم لقوة الله وحقيقة القيامة وجسد القيامة **"لأَنَّهُمْ**

مَتَى قَامُوا مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ" (مر ١٢ : ٢٥).

ثانياً.. لا يعرفون الكتب

لأن الكتب المقدسة التى أشارت إلى القيامة لم تشر أبداً إلى القيامة بنفس الأجساد الضعيفة التى على الأرض.. فهم لم يقبلوا القيامة التى أكدها الكتاب.. ولم يصدقوا قدرة الله أن يعطى حياة جديدة بأجساد جديدة.. لكن بطبيعة ممجدة تشبه الملائكة لا تحتاج إلى أكل وشرب ونوم وتناسل **"لأَنَّهُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأَمْوَاتِ إِنَّهُمْ يَقُومُونَ: أَفَمَا قَرَأْتُمْ فِي كِتَابِ مُوسَى فِي أَمْرِ الْعُلَّيْقَةِ كَيْفَ كَلَّمَهُ اللهُ قَائِلاً: أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ؟."** (مر ١٢ : ٢٥ ـ ٢٦).

وهنا دخل السيد المسيح فى جوهر الموضوع.. وهو موضوع هل هناك حقاً حياة أخرى أو قيامة بعد الموت!

ورجوعاً إلى الكتب المقدسة وإلى موسى بالذات ـ وكان معروفاً أن الصدوقيين لا يعترفون إلا بكتب موسى ـ **"لَيْسَ هُوَ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ"** (مر ١٢ : ٢٧).

أنتم إذاً تضلون كثيراً

- الضلال فى أن تفقد الموضوعية وتتمسّك بفكرك الخاص.
- الضلال هو أن تعتقد أنك تفهم والآخرون لا يفهمون.
- الضلال هو عدم فهم قوة الله وفكر الله وإرادة الله.

أية وصية هى أول الكل؟

"فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَناً سَأَلَهُ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟». فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ». فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّداً يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ لأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ». فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ قَالَ لَهُ: «لَسْتَ بَعِيداً عَنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ». وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ!."

(مر ١٢ : ٢٨ ـ ٣٤)

فى نفس هذا اليوم.. وهذا الإصحاح (مر ١٢).. الإصحاح الأمثل لحوارات السيد المسيح الذى يقابله (متى ٢٢) ، (لو ٢٠).. بينما انشغل الفريسيين بصراعهم مع أصحاب السلطة الهيرودسيين وانشغل الصدوقيين بمحاولة التشكيك فى القيامة والأرواح.. انشغل الكتبة بحرف الوصية.. ومركز كل وصية.. وأهميتها وترتيبها.. وبالطبع اختلفوا حرفياً فى قضية **"أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟"**.

نلاحظ أن كل إجابات السيد المسيح الماضية كانت لا تروق لسائلها ولكنها حسنة فى أذنى الأغلبية والعامة.

لكن ترى ما هو غرض هذا السائل الجديد (واحد من الكتبة).. هل أراد أن يجعل المسيح فى مأزق مع الرومان؟.. أو مأزق مع الشريعة؟!.. لكن ـ فى الحقيقة ـ هذا الكاتب تساءل بدون غرض إلا المعرفة.. ولهذا سيكون الحديث إليه مختلفاً لأنه لم يجرب المسيح ولم يرائيه بل تكلم معه بصدق.

ولهذا جاءت إجابة المسيح هنا مباشرة **"إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ.**

وَتُحِبتُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ" (مر ١٢ : ٢٩ ـ ٣١).

ونلاحظ هنا أن السيد المسيح ـ بدقة ـ وضع وصية محبة الله وتوابعها.. "لا تكن لك آلهة أخرى أمامى ـ أذكر يوم السبت لتقدسه".. ووصية محبة القريب وتوابعها "لا تسرق ـ لا تقتل ـ لا تزن ـ لا تشته" على نفس الدرجة من الأهمية والعظمة.. وهكذا اختصر كل الوصايا إلى وصيتين (محبة الله ـ محبة القريب).. واختصر الوصيتين إلى كلمة واحدة (المحبة).. فصارت هى الوصية الأولى والعظمى.. ليست وصية أخرى أعظم من هاتين.

وبهذه البساطة لغى السيد المسيح الصراع النظرى الذى اختلقه الكتبة بين أولويات الوصايا وأسبقية وصية على أخرى.

"فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: جَيِّداً يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ لأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ

كَالنَّفْسِ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ" (مر ١٢ : ٣٢ ـ ٣٣).. أضاف الكاتب معقباً.. بالحق قلت.. جيد يا معلم.. وختم تعليقه.. هى أفضل من جميع المحرقات والذبائح.

وهنا أكد هذا السائل أنه فهم ضمنياً أن كل التحفظات والفرائض والمحرقات والذبائح تأتى بعد وصية المحبة.. وكتعبير عنها وليس كتعارض معها.. وهذا النضج فى التفكير الروحى.. وهذه الحرية الداخلية التى كان يفتقدها الكتبة المرائين فى ذلك الزمان.. استحق أن يسمع عليها تعقيباً من السيد المسيح **"لَسْتَ بَعِيداً عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ"** (مر ١٢ : ٣٤).

ويعتبر هذا السؤال هو السؤال الوحيد الذى لم يكن وراءه غرض ردئ.. ولهذا استحق السائل المديح من فم المسيح.

الحوار الذى بدأه السيد المسيح؟

"ثُمَّ سَأَلَ يَسُوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ: «كَيْفَ يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ؟. لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ. فَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَدْعُوهُ رَبّاً. فَمِنْ أَيْنَ هُوَ ابْنُهُ؟» وَكَانَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ يَسْمَعُهُ بِسُرُورٍ. وَقَالَ لَهُمْ فِي تَعْلِيمِهِ: «تَحَرَّزُوا مِنَ الْكَتَبَةِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ الْمَشْيَ بِالطَّيَالِسَةِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ. وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ وَالْمُتَّكَآتِ الأُولَى فِي الْوَلاَئِمِ. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ. هَؤُلاَءِ يَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ»." (مر ١٢ : ٣٥ - ٤٠)

إذ لم يجسر أحد أن يسأله مرة أخرى.. لأنه تصدى بحكمة وبساطة لكل التساؤلات المغرضة والصادقة.. كانت هناك قضية هامة لم يتعرض لها

أحد.. وهى الأخطر والأهم فى الإيمان.. وهى مَن هو المسيح؟ ما هى طبيعته؟ هل هو إنسان أم رب؟

وهكذا لا تكتفى بالرد على التساؤلات.. لكن كن أيضاً مستعداً أن تسأل بمنطق العقلاء لكى تقود مَن يسألك إلى الحق كله.

وطرح السيد المسيح سؤاله على كل مَن سألوه سابقاً.. هل المسيح ابن داود؟.. نعم هذا تعليم الأنبياء والكتبة.. فإن كان كذلك.. فكيف يُلقب داود المسيح بالرب إن كان ابنه؟!

ومن الواضح أن هذا المزمور المسيانى.. لم يكن أحد يختلف عليه.. أنه يخص السيد المسيح.. وكان المعلمين اليهود يعتبرونه حديث خاص من الله (الآب) إلى المسيا الآتى.. **"قَالَ الرَّبُّ** (الآب) **لِرَبِّي** (المسيح)" (مز ١١٠ : ١).

ولم يجب أحد المسيح عن سؤاله.. وترك إجابته المنطقية تختمر فى ذهن السامعين بهدوء.

- **المسيح ابن داود.. حسب الجسد**
- **المسيح رب داود.. حسب الألوهة**
- **إذاً فالمسيح.. إنسان حقيقى (ابن الإنسان)**
- **إذاً المسيح أيضاً.. إله حقيقى (ابن الله)..**
- **إذاً المسيح.. مولود من داود ناسوتياً.**
- **والمسيح أيضاً.. مولود من الآب قبل كل الدهور.. نور من نور**

وكانت النتيجة **"كَانَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ يَسْمَعُهُ بِسُرُورٍ"** (مر ١٢ : ٣٧).

هل حقاً فهموا؟ قد يكون هناك مَن التقط الحقيقة التى قصدها المسيح عن نفسه ولكن على الأقل كان الجمع يتقدم فى طريق الفهم والإستنارة وبالرغم من اعجاب السيد المسيح بهذا الكاتب الأخير الذى سأله عن الوصية العظمى.. إلا أن السيد المسيح أراد ألا يؤخذ

كلامه عموماً عن كل الكتبة.. فأضاف **"تَحَرَّزُوا مِنَ الْكَتَبَةِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ الْمَشْيَ بِالطَّيَالِسَةِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ. وَ?لْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ وَالْمُتَّكَآتِ الأُولَى فِي الْوَلاَئِمِ. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ. هَؤُلاَءِ يَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ"** (مر ١٢ : ٣٨ ـ ٤٠).

ففى هذا الإصحاح كان هناك أربعة حوارات مع المسيح:

١ـ حوار حول الجزية.

٢ـ حوار حول الزوجة فى الحياة الأخرى.

٣ـ حوار حول الوصية الأولى.

٤ـ حوار حول طبيعة المسيح.

فى الثلاثة الأولى كان المسيح يُجيب بمنطق وحكمة.. وفى الأخير بدأ المسيح الحوار نفسه ليجعل المنطق طريقاً للإيمان.

الصمت الطويل والإعتراف الحسن

"وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةً عَلَى يَسُوعَ لِيَقْتُلُوهُ فَلَمْ يَجِدُوا. لأَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ زُوراً وَلَمْ تَتَّفِقْ شَهَادَاتُهُمْ. ثُمَّ قَامَ قَوْمٌ وَشَهِدُوا عَلَيْهِ زُوراً قَائِلِينَ:. «نَحْنُ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: إِنِّي أَنْقُضُ هَذَا الْهَيْكَلَ الْمَصْنُوعَ بِالأَيَادِي وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَبْنِي آخَرَ غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِأَيَادٍ». وَلاَ بِهَذَا كَانَتْ شَهَادَتُهُمْ تَتَّفِقُ. فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ فِي الْوَسَطِ وَسَأَلَ يَسُوعَ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَؤُلاَءِ عَلَيْكَ؟». أَمَّا هُوَ فَكَانَ سَاكِتاً وَلَمْ يُجِبْ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضاً: «أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟». فَقَالَ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِياً فِي سَحَابِ السَّمَاءِ». فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: «مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟. قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ! مَا رَأْيُكُمْ؟» فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ. فَابْتَدَأَ قَوْمٌ يَبْصُقُونَ عَلَيْهِ

وَيُغَطُّونَ وَجْهَهُ وَيَلْكُمُونَهُ وَيَقُولُونَ لَهُ: «تَنَبَّأْ». وَكَانَ الْخُدَّامُ يَلْطِمُونَهُ." (مر ١٤ : ٥٥ ـ ٦٥)

ظل المسيح صامتاً.. ولم يجب عليهم.. أما تجيب بشئ؟

ساكتاً ولم يجب بشئ

لماذا لم يجب المسيح بالرغم أنه اعتاد أن يتعامل مع الأسئلة:

أولاً.. لأنه فى هذا المكان لا يجد أحداً يريد أن يسمع الحقيقة.

ثانياً.. لأن شهاداتهم لا تتفق مع بعضها البعض.. فلا حاجة للكلام حين يتكلم الناس ويتعارضون ويثبت بطلان كلامهم من نفس كلامهم **"لأَنَّ كَثِيرِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِ زُوراً وَلَمْ تَتَّفِقْ شَهَادَاتُهُمْ"** (مر ١٤ : ٥٦).

ثالثاً.. المسيح ـ له المجد ـ لا يريد أن يبرئ نفسه أو يدافع عن نفسه.. وقد جاءت الساعة.. وهو يدرك جيداً أن فى كل الأحوال هذا التحقيق

الصورى.. له نهاية واحدة قد قرروها مسبقاً.. وقد سمح بها الله فى خطته.

"**فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضاً: «أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟»**" (مر ١٢ : ٦١).

ولما جاء السؤال الصريح جداً.. والمحدد جداً.. عن طبيعة المسيح كإبن الله.. لم يصمت المسيح.. بل اعترف الاعتراف الحسن.. وأكد لاهوته.. وطبيعته.. وتدبيره **"أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِياً فِي سَحَابِ السَّمَاءِ"** (مر ١٢ : ٦٢).

"**أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وأتياً فى سحاب السماء**" (مر ١٢ : ٦٢)

أولاً.. لابد أن يشهد المسيح ولا ينكر طبيعته لئلا يشك فى لاهوته يوماً كما حدث ويحدث من أعداء المسيح.

ثانياً.. أنا هو.. فى لغتهم اليهودية.. كانت تساوى ما قاله الله لموسى فى العليقة **"فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ». وَقَالَ: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ»"** (خر ٣ : ١٤).

"And God said to Moses, "I AM WHO I AM" And He said, "Thus you shall say to the children of Israel, 'I AM has sent me to you" (Ex ٣ : ١٤)

فهى ليست واضحة فى اللغة العربية بقدر ما تتضح فى لغتهم الأصلية.. ولهذا حين قال السيد المسيح للمولود أعمى.. أنا هو.. خر الأخير ساجداً **"فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجاً فَوَجَدَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟». أَجَابَ: «مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لأُومِنَ بِهِ؟». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ والَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ». فَقَالَ: «أُومِنُ يَا سَيِّدُ». وَسَجَدَ لَهُ."** (يو ٩ : ٣٥ ـ ٣٨).

لهذا أعلن المسيح لاهوته قائلاً أمام المحكمة "أنا هو".. يقصد أنا هو أهيه.. يهوه.. الإله

الحقيقى.. الإله المتجسد.. المسيح ابن الله. ولهذا اعتبره رئيس الكهنة كأنه مُجدفاً يستحق الموت.

ثالثاً.. أضاف السيد المسيح "إنه إن لم تؤمنوا اليوم".. سيأتى اليوم الذى فيه تصدقون ولكنه سيكون يوم الدينونة.. فذكر يوم مجيئه الثانى على السحاب مؤكداً طبيعته **"أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِياً فِي سَحَابِ السَّمَاءِ"** (مر ١٢ : ٦٢).

رابعاً.. أوجد السيد المسيح باعترافه دليلاً جديداً وسهلاً فى يد رئيس الكهنة أن يحسب مجدفاً مدعياً الألوهة.. وهذا يستجلب الموت حسب الشريعة **"فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: «مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟. قَدْ سَمِعْتُمُ التَّجَادِيفَ! مَا رَأْيُكُمْ؟» فَالْجَمِيعُ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ."** (مر ١٢ : ٦٣ ـ ٦٤).

أخيراً..

+ من المنطق..

ألا يتكلم الإنسان إن لم توجد قيمة للكلام.

+ من المنطق..

ألا يسكت الإنسان عن إعلانه للحقيقة.

+ من المنطق والحكمة..

أن يتعلم الإنسان متى يتكلم وماذا يقول؟ ومتى يصمت؟ وكيف يصمت.

الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مـقـــدمـــة	٦
• لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟	٩
• لماذا تلاميذك لا يصومون؟	١٨
• لماذا يفعلون فى السبت ما لا يحل؟	٢٣
• إنه مختل!	٢٩
• لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ؟ ...	٣٣
• هل يحل للرجل أن يطلق مرأته؟	٣٩
• أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية	٤٣
• نريد أن تفعل لنا كل ما طلبناه	٥٠

الموضوع	رقم الصفحة
• يا سيد أنظر التينة التى لعنتها قد يبست	٥٤
• بأى سلطان تفعل هذا؟	٥٧
• أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟	٦١
• لمَن منهم تكون زوجة؟	٦٧
• أية وصية هى أول الكل؟	٧٢
• الحوار الذى بدأه السيد المسيح	٧٦
• الصمت الطويل والإعتراف الحسن	٨٠